

قصّة أمّ

للقصصيّ الدائمركي أندرسن
بقلم الأديب صلاح الدين المنجد

تعريف بالقصة

أندرسن قصصيّ وشاعر دانمركي كبير . اشتهر بأفانصيصه التي تتجهر منها الحياة ، وتراءى لك منها صور الألم والشقاء ... بأسلوب حلو منسجم ، يخفى كما تخفى العروس ليلة الزفاف

وهو في أكثر قصصه يحلّل لك العواطف البشرية تحليلاً دقيقاً يهرك ويعجبك . وما يزال يفيض عليها من خياله الخصب ، ومعانيه الشعرية . سحراً وجمالاً ، حتى لتحسب أنك بين يدي شاعر جبار ، وأنت تقرّ شعراً لا تقرأ . وقد تفتن في هذا النوع من القصص الذي تمارج فيه الأسطورة الواقع والحقيقة الخيال ومن روائع قصصه : عذراء الجبال — ورقة من السماء — أبة الملك . وغيرها ...

(المنجد)

جلست الأم بقرب وليدها واجفة القلب ، واكفة الدمع ؛ يذهلها الخوف عليه من شر الموت وقد استعصى دأؤه ، وغمض دواؤه . تنظر إليه وقد غشيت بحياه الوديع صفرة كثيبة ، واكتحلت عيناه برزقة قاتمة . وترى إلى صدره يهبط يهبط ، ويملو بصعوبة ، وهو مستلق على ظهره ، ما يتحرك إلا ليرسل زفرة موجمة ، أو آهة محرقة ، من حين إلى حين

وطرق الباب ، فإذا شيخ قد تسفّع^(١) وهمم ؛ هو شبّح أو يشبه الشبّح ، ما عليه

إلا جلد فوق عظم ، وما فيه إلا روح تتردد بينهما ، ملتفماً برداء يتقي به رعشة البرد ، فرجت الأم به ، وقادته إلى الموقد ليطارد عنه العناء ، ويتلهى بجمرات من الجمعة يُشيع في جسمه الدفء بها . ثم تركته يرسل في الأرض نظرات ساهمة ، من

(١) تسفّع : بلغ من الكبر عبثاً

عينين مظلمتين عميقتين ، كأنها تمزق حجب الغيب ، وتنفض إلى سراير الحنايا . وعادت إلى ابنها تنهيه دمه ، وتهدهد آلامه ، وترسل له الأناشيد ...

وسكنت الأم فجأة . وقالت : ترى يا شيخ هل يُشفى ولدي ويقي لدى ؟ ... فغمغم الشيخ في سرّه وحدث في الطفل وقال : كلا . فأكدة وجه الأم ، وطأطأت رأسها تذرف الدمع وترسل زفرات تفيض حسرة وأسى . وصرت بخاطرهما ما تلاقيه من هم ملح وضئ لا يشفق . فها هي ذى منذ ثلاث لا تعرف عينها سَجْوُ المنام ولا طعم الهناء ... ثم التفتت إلى وايدها ، فإذا بالوليد قد اختفى ، وإذا بالشيخ قد غاب ... وإذا بساعة الردهة تنقلب إلى الأرض متحطمة متكسرة ، فيسمع لها أنين محزن كأن معناه أن النجم قد خفق^(١)

وأن الليل قد مات !

ونظرت الأم في الغرفة ، فعاد بصرها مذعوراً شاكياً . فقفزت إلى الباب قلقة الجنان ، مستطيرة النسي ، صارخة يا ويلتاه ! لقد اختفى الوليد ، وقلبي قد قضى ... ! وكان الشتاء قد كليب^(٢) ، فهبت

(١) يقال خفق النجم : أي غاب

(٢) يقال كليب الزمان أو الشتاء إذا اشتد

وجدت طريقين لم تدر أيتهما سلك الموت . فلكنها
الحيرة ، وجاءت إلى شجيرة ورد عارية ، مافيها سوى
أشواك غليظة ، وعيدان نحيفة ، وقالت لها :
« أيها الوردة ! ... هل تعرفين السبيل إلى مقر

الموت ... ؟ »

قالت الوردة : نعم ! إني لأعرف السبيل إلى
مقره . ولكن ... لن أدلك عليه حتى تضميني
قليلاً إلى تحرك ... وتضميني هناك بين نهديك ،
فأدفاً قليلاً ، وتدب في الحياة . لقد صوّح الصقيع
نضرتي ، وجردتني الريح من أوراق ، فهل تقبلين ؟
وفي سمت عميق تقدمت الأم من الشجرة ،
وأدنت الأغصان من صدرها . هذا فوق النهدي ،
وذاك فوق الحلمة ، وثالث بينهما ... وراحت تضغط
برفق وعلى مهل ... فينفذ الشوك في الثدي ويتدفق
الدم غزيراً وينهمر الدمع صبيحاً ... وتحبس الأغصان
حرارة قلب ملتاع ... فيجري الدم في المروق ،
وتتفتح البراعم عن أوراق خضراء وورود حمراء ،
بين الثلج المتناثر والهواء النواح

قالت الوردة آنشد : هاهي ذى طريقك يا حسناء ،
اسلكيها فلكمك تجدين الموت ! ...

ومضت الأم تتمثل في خاطرها صورة ابنتها ،
فترتعد من فراقه ، وتهذي بعده ثم توفض في مشيها
وتسرع كمن أصابه مس ... حتى وقفت أمام بحيرة
كبيرة ، ما ترى على صفحتها المضطربة قارباً وما يجد
زورقاً . فقالت في نجواها : لم لا أشرب هذا
الماء وأشتفه ، فإذا انضب هبطت إلى قمرها ، ومشينا
حتى أصل إلى الضفة الأخرى .

وانحنى للشرب ، فقهمت البحيرة ، وراحت
تقول :

رويداً ... رويداً يا حسناء ... إنك إن تستطيبي
شرب مائي ... كوني صديقة لي ... وهي لي هاتين

ثلوجه ، وامتد جليده ، والريح قد ثارت فهي ما
تنفك ترسل الزئير وتردد الأنين ، وما تنى تلطم
الحدود وتصنع الوجوه ... واندفعت الأم في طريقها
لأنابها لريح ولا تحشي شتاء . فلقيت امرأة قد ارتدت
سلافاً ^(١) فضاضاً ، فسألها عن شيخ يحمل طفلاً
صغيراً . فقالت المرأة : نعم إني رأيت الشيخ ...
ذلك هو الموت ... رأيت يخرج من تلك الدار ومعه
طفل صغير ... إنه يجري كالهواء ... إنني أما ...
- الموت ... ؟ لكن ... أين ذهب ؟
تكلمني بربك ... عجلى ... تكلمني ...

- إني أما الليل ... أعرف الطريق التي تؤدي
إلى مأوى الموت ... ولكن تعالى قبل أن أدلك
عليها ، وأسمعني أغاني الأمومة المذاب ، وأماشيدها
السواحر ... إنها سدى لوجيب قلبك ، وثورة
عواطفك ... لشد ما كان قلبي ينتشي لدى سماعها
ويطرب ... ! لقد أصغيت إليك وأنت تناغين وليدك ،
ونظرت إليك ترسلين مدامك ، وقد نشرت على
الكون السلاب هذا ... تعالى إلى وغنى لي ...
يا حبيبة ... !

- أواه ! أواه ! سأغنيهن لك كلهن ... نعم
كلهن ... ولكن بعد حين ... بعد أن أتى طفلي
الصغير ...

وصمت الليل ... وبكت الأم ... وراحت
تغنى من قلب مفجوع . لقد غنت كثيراً حتى مل
الليل النناء ، ولكنها بكت أيضاً وما ملت البكاء ،
تحت الثلج المتناثر كأزاهير من ياسمين مبمثر جميل ..
قال الليل : اذهبي ... واتخذني هذه الطريق ،
حتى تصل إلى غابة الصنوبر فلكمك تجدين الموت ...
وانطلقت الأم مسرعة تنهب الأرض ، تلفحها
ريح صرصر عاتية ، حتى إذا كانت في غابة الصنوبر

(١) السلاب : ثياب الحزن أو السواد

هي رمز لحياته وأعماله ، وهي تموت إذ يموت ...
إذا رأيته حسبها زهرة كالأزهار ، وإذا لمستها
شعرت بوجيب قلب ... تعالى ، ثم المسى هذه
الأزهار ، عليك تعرفين وجيب قلب طفلك ...
ولكن ما الذي تعطينه يا حسناء ؟ ...

— ليس لدى شيء .. ولكن سأحضر لك
كل شيء ..

— مالى حاجة لكثير سوى شمرك الأسود
الجميل ... أنبادلينى بشمري الأبيض شمرك الأسود
الأنثى ؟ ...

— نعم .. خذى .. خذى ماتشائين .. ولكن
عجلى بربك !

وأخذت المعجوز تلك الشعور ، وأعطتها شمورها
الأبيض ، نذير الشؤم والفناء .. ثم قادتها إلى الحديقة
الكبرى وراحت تقول :

— هنا ينبت الورد إلى جانب الشوك .. وهناك
النسر إلى جانب العوسج .. وتلك أزهار كاهانضرة
وحياة ... وهذه أزهار أصابها الهزال وألوى
عنفها الدبول ، وأحاطت بها أعشاب وحشية سوداء ..
وهناك .. قامت أشجار من نخيل وأعنان ، إلى
جانب الصنوبر والزعفران والأفاح .. إنها تمثل حياة
الخلائق من الصين إلى غرولاند .. وهذه الـ ...

وبينما كانت الشيخخة تقص على الأم نبأ هذه
الأزهار ، وتلك الأشجار ، كانت الأم غارقة في عالم
بعيد .. بعيد جداً .. لقد كانت تصنى إلى خفق
القلوب ! .. وفجأة .. ارتجفت يداها .. وخفق
قوادها وقالت بحسرة ولهفة :

— إنه قلبه .. بالله ! لماذا أنت ذابلة أيتها الزهرة ؟
حدثينى بالله ..

— لانسسها الآن .. ولكن تضرعى للموت
عندما يأتى ، وأذرفى الدمع أمامه .. هذديه بقطف

المينين الجيلتين ... إننى أشتهى لؤلؤتين ثمينتين
أحلى بهما صدرى . إن عينيك لساحرتان ... وإن
لها وميضاً مغرباً جذاباً . أذرفى الدمع سخيلاً أمامى
حتى تسقط عيونك فى قاعى ... فأحملك آنشد إلى
حيث يكون الموت

— آه ! كلا لن أعطيك ماتطلين ... أيتها
البحيرة ... بل سأبقيهما لأرى ولدى ...

— إذن هذا فراق ما بينى وبينك ... انتربى
ماتى ، وافعل ما تشائين

— كلا ... كلا ... تعالى أيتها البحيرة ،
تعالى فسأعطيك ماتودين ... !

وراحت الأم تبكى ... حتى سقطت عيناها
وتدحرجتا إلى قاع البحيرة العميق ... وانقلبتا
لؤلؤتين مارأت الملكات مثلهما أبداً ...

وفى طرفة عين حاتمها البحيرة على ظهر موجة
واحدة ... إلى الشاطئ البعيد

— لقد قالت لى البحيرة : إن مقر الموت هنا ،
ولكن كيف لى برؤية الموت وقد أصبحت عمياء ؟
قالت معجوز شطاء سمعت ما تقوله الأم :

— مالك وللموت ؟ ... ومن ذلك على الطريق ؟
ثم ماذا تريدن ؟ ...

— إنه ربي ... قادنى وأعاننى ... إنه رؤوف
رحيم ... أشفق على أنت أيضاً يا أماء ... وقودبنى
إلى حيث يكون الموت لأرى طفلى الصغير ... !

— أنا ما عرفت طفلك أبداً ... وكيف تريدن
رؤيته وأنت عمياء ... هنا حديقة الآجال ، لقد ذهب
الموت ؟ اليوم ، ليقبض من جاء أجله . فإذا عاد
قطف زهراتهم ...

— زهراتهم ؟
— نعم يا بنتى ، إن لكل مخلوق زهرة هاهنا ،

— ... !

— خذه .. خذه .. أليس ذاهباً إلى الجنان .. !

غفرانك اللهم ! تلك مشيتك !

وانحنى الموت وقطف تلك الزهرة وانطلق بها
إلى العالم المجهول (١) ...أما الأم .. فلها الله ! لقد سقطت على الأرض
لا ترمز ولا تنى ، وقد علق بصرها بتلك الزهرة
الداهية إلى السماء ... !

دمشق « صولح السيرة النجم »

(١) تنتهى هذه الأنصوصة في بعض النسخ بنسبة أخرى
سارة : تلك ان الموت عند ما يرى ما لاقته الأم من
عذاب وآلام ، يدعو ربه ، فيشفق الله على تلك الأم
ويهب لطفها عمراً جديداً ، فترجع الأم مع طفنها إلى الغار
ويسكنان عيشة كلها سعادة وهناء ...

رحلة المحيط الهندي

في سفينة مصرية

رددت أخبارها صحف العالمين

الإنسانية في شتى مظاهرها نظامك من صفحات

سندباد عصرى

بقلم

حسين فوزي

١٢ قرشاً أطلبه اليوم من المكاتب ١٢ قرشاً

الأزاهر إن اقتطف زهرة وليدك ، وادعى ربك
يا سبية ، فشيتته فوق كل شيء ..وهبت عاصفة هوجاء ، أوصلت الموت إلى حديقته ؛
ضجج إذ رأى الأم وقال :— كيف أتيت إلى ؟ .. أوصلت قبل أن أصل ؟
مالذي فعلته ! ..— أريد ولدى يا موت .. أضرع إليك ..
إعطف على .. رحمة بي !— هيهات ! هيهات ! .. أنا لأملك من دون
الله ضراً ولا نفعاً .. أنا أنعمد حدائفه بالعناية .. فإذا
جاء أجل أولئك الناس مضيت لأنقلهم من عالمهم
هذا .. إلى عالم آخر .. مجهول ..— ناشدتك الله يا موت إلا رحمت . بالبحزن
الدائم والشقاء القيم ! ..وراحت الأم ترسل الصرخات شاكية ضارعة ،
والتوسلات الحزينة المبيكة ، والموت صامت
لا يجيب .— مهلاً يا موت لا تقطف زهرته ... وإلا
قطفت هذه الزهرات ...— ويحك إنها زهرات لأطفال !
— أطفال ؟ كلا .. كلا .. أنا لأريد أن أجمع

أحداً ! ...

— ما الحياة .. إنها صور حلوة فيها السعادة
والهناء .. تعقبها أخرى كلها نعاسة وشقاء . دعيه
دعيه ...— لكن أنتم يا موت ما قدر على ابني ؟ هل
يعانى كثيراً من الآلام .. إنك لا تجيب .. آه !هل يمشى مطمئناً في السموات ؟ هه ؟ ألا تجيب
يا موت ؟ كلا .. ان أدعك تأخذه . أيها الجبار !

لكن .. حنانك .. ارحم هذه الأم ..